العرب

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977
أسسها: أحمد الصالحين الهوني
السبت – الأحد 05 – 2026/09/06
23 – 24 ربيع الأول 1448 السنة 49 العدد 13906
Saturday - Sunday 05 - 06/09/2026
49th Year, Issue 13906
www.alarab.co.uk

قيادة جديدة للجيش الأردني: تحديات مرحلة ملتهبة

تغيير قيادة هيئة الأركان يأتي في توقيت أمني حساس، فيما يواجه الجيش تحديات الحدود والتصعيد الإقليمي

عمان - دخل الجيش الأردني مرحلة جديدة مع تعيين اللواء الركن مجدي محمد حماد الحراسيس رئيساً لهيئة الأركان المشتركة، خلفاً للفريق الركن يوسف الحنيطي الذي أُحيل إلى التقاعد بعد سنوات في المنصب. ويأتي التغيير في قيادة المؤسسة العسكرية في توقيت إقليمي شديد الحساسية، يضع الأردن أمام تحديات أمنية تتجاوز حدوده المباشرة.

ولا يمكن اختزال التغيير في سياق التطورات الإقليمية وحدها، فالتبدل في المواقع العسكرية العليا جزء من طبيعة المؤسسات والجيوش. لكن توقيته يلفت الانتباه إلى حجم الملفات التي تنتظر القيادة الجديدة، في منطقة تشهد تصاعداً في المخاطر الأمنية وتداخل الصراعات على أكثر من جبهة.

تولى الحراسيس رئاسة هيئة الأركان المشتركة اعتباراً من الثاني من سبتمبر، بعد مسيرة عسكرية طويلة شغل خلالها عدداً من المواقع القيادية، من بينها مناصب بارزة في مجال الاستخبارات العسكرية. وهذا الجانب من مسيرته يمنح تعيينه بعداً إضافياً في مرحلة تتزايد فيها أهمية المعلومات الاستخباراتية ومواجهة التهديدات غير التقليدية.

لا مؤشرات على أن تغيير قيادة الجيش يمثل تحولاً في العقيدة العسكرية الأردنية، ولا يمكن ربط التعيين مباشرة بأزمة إقليمية

وفي المقابل، ينهي يوسف الحنيطي فترة امتدت لنحو سبع سنوات في قيادة الجيش، شهد خلالها الأردن تحولات أمنية إقليمية واسعة، من استمرار الحرب في سوريا إلى التوترات على الحدود، ثم الحرب في غزة وتداعياتها، وصولاً إلى التصعيد الأوسع في الإقليم.

وبذلك لا تبدأ القيادة الجديدة عملها في ظروف هادئة، بل ترث مؤسسة عسكرية راكمت خبرة في التعامل مع بيئة إقليمية متغيرة باستمرار.

وتفرض الجغرافيا على الأردن معادلة أمنية معقدة. فهو يقع بين مناطق شهدت خلال السنوات الأخيرة صراعات وتوترات مستمرة، من فلسطين وسوريا إلى العراق، فيما تجعله تحالفاته العسكرية جزءاً من الحسابات الأمنية الأوسع في المنطقة.

وقد أظهرت التطورات الأخيرة أن انعكاسات الصراعات الإقليمية لم تعد بعيدة عن الأراضي الأردنية. فالتوتر بين الولايات المتحدة وإيران وضع المملكة أمام مخاطر مباشرة بسبب وجود منشآت وقوات أميركية في البلاد، وهو ما زاد حساسية موقع الأردن في معادلة الصراع الإقليمي.

لكن التحدي الأردني لا يقتصر على التعامل مع تهديد عسكري تقليدي. فالبيئة الأمنية الجديدة تشمل الصواريخ والطائرات المسيرة والتهريب والجماعات المسلحة، إلى جانب الحرب الإلكترونية والمخاطر المرتبطة بالحدود المفتوحة على أزمات متعددة.

هنا تبرز أهمية الخلفية الاستخباراتية لرئيس هيئة الأركان الجديد.

فالجيوش الحديثة لم تعد تعتمد فقط على حجم القوات أو قوة السلاح، بل أصبحت القدرة على جمع المعلومات وتحليلها والاستجابة السريعة جزءاً أساسياً من مفهوم الأمن.

ويواجه الأردن تحدياً مستمراً في مراقبة حدوده، خصوصاً في ظل شبكات التهريب والاضطرابات التي تشهدها بعض المناطق المحيطة. كما يتطلب التعامل مع الطائرات المسيرة والصواريخ تطويراً مستمراً لقدرات الدفاع الجوي وأنظمة الإنذار المبكر.

ولهذا فإن المرحلة المقبلة قد تشهد تركيزاً أكبر على الجمع بين القدرات العسكرية التقليدية والتكنولوجيا والاستخبارات، بدلاً من الاعتماد على نموذج عسكري واحد.

الأردن أمام تحديات أمنية تتجاوز حدوده

ويمثل التعاون العسكري مع الولايات المتحدة أحد عناصر القوة في المنظومة الدفاعية الأردنية، لكنه يضع عمّان أيضاً أمام تحديات سياسية وأمنية كلما تصاعد الصراع بين واشنطن وخصومها في المنطقة.

فالأردن حريص على الحفاظ على تحالفه الاستراتيجي مع الولايات المتحدة، وفي الوقت نفسه يؤكد أن أمنه وسيادته لا ينبغي أن يصبحا جزءاً من صراعات الآخرين.

وهذه المعادلة ستكون حاضرة أمام القيادة العسكرية الجديدة: الاستفادة من التحالفات العسكرية، مع الحفاظ على قدرة الأردن على إدارة أمنه وفق أولوياته الوطنية.

ولا تبدو هذه مهمة عسكرية فقط، بل هي جزء من إدارة سياسية وأمنية أوسع للدولة.

إلى جانب التحديات الإقليمية، تواجه القيادة الجديدة ملف تحديث القوات المسلحة.

عُمان تعيد ترتيب دبلوماسيتها.. اختبار جديد للسفراء

مسقط - تدخل الدبلوماسية العُمانية مرحلة جديدة من إعادة ترتيب السلك الدبلوماسي، مع صدور مرسوم سلطاني شمل نقل عدد من السفراء إلى ديوان عام وزارة الخارجية، إلى جانب تعيين ونقل سفراء إلى بعثات دبلوماسية جديدة.

ويأتي هذا التغيير في سياق أوسع بدأ مع إصدار قانون السلكين الدبلوماسي والقنصلي الجديد في عام 2025، والذي أعاد تنظيم الدرجات والمسارات المهنية داخل السلك، ووضع قواعد أكثر تفصيلاً للتعيين والترقية والنقل. وينص القانون على أن تعيين السفراء ونقلهم إلى بعثات أخرى أو إلى الوزارة يتم بمرسوم سلطاني.

وفي المرسوم الأخير، نُقل خمسة سفراء إلى ديوان عام وزارة الخارجية، فيما شملت التغييرات تعيين سفراء في عدد من العواصم، بينها العراق وبيلاروسيا وسوريا، إلى جانب تنقلات أخرى.

من الصعب النظر إلى نقل السفراء إلى ديوان الوزارة باعتباره إنهاءً لدورهم الدبلوماسي. فوجود دبلوماسيين من أصحاب الخبرة في المركز يمكن أن يكون جزءاً من إعادة توزيع الكفاءات بين العمل الميداني والعمل داخل الوزارة. وتحتاج الدبلوماسية الحديثة إلى هذا النوع من التراكم. فالسفير الذي أمضى سنوات في عاصمة آسيوية أو عربية أو أوروبية لا يحمل معه عند عودته إلى الوزارة منصباً سابقاً فقط، وإنما شبكة علاقات وخبرة في إدارة الملفات السياسية والاقتصادية وفهماً لطبيعة الدول التي تعامل معها.

ومن هذه الزاوية، يمكن أن يصبح ديوان عام الخارجية جزءاً من عملية الاستفادة من الخبرات المتراكمة، بالتوازي مع الدفع بوجوه أخرى إلى مواقع التمثيل الخارجي.

لا يتعلق التعديل بعدد السفارات أو حركة السفراء بقدر ما يتعلق بكيفية تحويل البعثات الدبلوماسية إلى أدوات أكثر فاعلية

تأتي هذه التحركات بعد أقل من عامين على إعادة تنظيم الإطار القانوني للسلك الدبلوماسي.

فالقانون الجديد وسّع هيكل الدرجات الدبلوماسية إلى عشر درجات، مقارنة بسبع درجات في النظام السابق، واستحدث مسميات مثل وزير مفوض أول ومستشار أول وملحق دبلوماسي أول. كما ربط الترقي بالتقييمات المهنية والتدريب والخبرة.

وهذا يعكس توجهاً نحو بناء مسار مهني أكثر وضوحاً داخل وزارة الخارجية، بحيث لا تكون الحركة بين البعثات مجرد تغيير في أماكن العمل، وإنما جزءاً من مسار وظيفي وتراكمي.

كما يسمح القانون لوزارة الخارجية بالاستعانة بذوي الخبرة والكفاءة من خارج السلك لأداء مهام محددة بموجب عقود، وهو ما يوسع هامش الوزارة في الاستفادة من الخبرات المتخصصة عندما تتطلب الملفات ذلك.

تأتي إعادة ترتيب السلك في وقت أصبحت فيه البيئة الإقليمية أكثر تعقيداً.

فمسقط حافظت خلال السنوات الماضية على موقعها كطرف قادر على التواصل مع أطراف مختلفة، وهو دور يتطلب دبلوماسية هادئة ومستمرة، وليس فقط تمثيلاً بروتوكولياً في العواصم.

ومع تصاعد الأزمات في المنطقة، تصبح طبيعة المهمة الدبلوماسية أكثر اتساعاً. فالسفير لم يعد يؤدي فقط وظيفة نقل المواقف الرسمية أو إدارة العلاقات الثنائية، وإنما يتعامل مع ملفات سياسية واقتصادية وأمنية متشابكة، ويحتاج إلى القدرة على قراءة التحولات السريعة والتواصل مع أطراف متعددة.

وهذا يفسر أهمية وجود كوادر ذات خبرة في العواصم ذات الأولوية، كما يفسر في المقابل حاجة الوزارة إلى الاحتفاظ بجزء من الخبرات داخل ديوانها.

وتكتسب بعض التعيينات الجديدة أهمية بالنظر إلى طبيعة الملفات التي تتحرك فيها السلطنة.

تقرأون في العدد

- كيف تحولت المدارات الأرضية العربية إلى ساحة حرب خفية؟ ص2
- من يعرقل جهود بولس وتيتيه في ليبيا؟ ص3
- الفحم يرقص على ورق أوميد عباس ص4

كلمة العرب

بقلم: محمد الصالحين الهوني
رئيس التحرير

المغرب وفرنسا: رؤية مستقبلية بعيدًا عن قيود الماضي

لم يعد السؤال في العلاقة بين المغرب وفرنسا هو ما إذا كانت الشراكة التاريخية بين البلدين ستستمر، بل أي شكل ستتخذه. فالعلاقة التي نشأت في ظل إرث تاريخي وثقافي واقتصادي معقد، تجد نفسها اليوم أمام فرصة نادرة لإعادة تعريف نفسها على أساس مختلف: أقل ارتباطاً بترتيبات الماضي، وأكثر اتصالاً بتوازنات المستقبل.

وهنا تكمن أهمية التحول المتزايد في النظرة الفرنسية إلى المغرب. فما يظهر في الخطاب السياسي والإعلامي الفرنسي ليس مجرد نتيجة لمصالحة دبلوماسية أو تسوية لخلافات تراكمت حول عدد من الملفات، بل يعكس إدراكاً أوسع بأن المغرب تغير. لقد أصبح المغرب، بالنسبة إلى عدد متزايد من صانعي القرار والفاعلين الاقتصاديين، أكثر من جار جنوبي لأوروبا أو شريك تقليدي في ملفات الهجرة والأمن. إنه دولة تمتلك مشروعاً استراتيجياً، وشبكة علاقات واسعة، وقدرة متنامية على التحرك بين دوائر جغرافية وسياسية مختلفة.

المغرب لم ينتظر أن تعيد القوى الكبرى اكتشاف أهميته. خلال السنوات الماضية، عمل على بناء شبكة واسعة من الشراكات، من أوروبا إلى أفريقيا، ومن العالم العربي إلى الولايات المتحدة وآسيا. وقد منحته هذه السياسة هامشاً أكبر من الاستقلالية في القرار، وجعلت علاقاته الخارجية أقل اعتماداً على محور واحد وأكثر ارتباطاً بمصالح متعددة ومتقاطعة.

الجغرافيا، التي كانت تُفهم طويلاً باعتبارها قدراً سياسياً، تحولت في الحالة المغربية إلى أصل استراتيجي. فالمغرب يقع عند نقطة التقاء أوروبا بأفريقيا، والأطلسي بالمتوسط، والفضاء العربي بالعمق الأفريقي. لكن الموقع وحده لا يصنع النفوذ. النفوذ يتطلب مؤسسات، واستثمارات، وبنية تحتية، وشبكات تجارية، وقدرة على تحويل الموقع الجغرافي إلى قيمة اقتصادية وسياسية. وفي هذا المجال، استطاع المغرب خلال السنوات الماضية أن يراكم عناصر قوة جعلت موقعه أكثر أهمية مما كان عليه في السابق.

ولهذا فإن الاهتمام الفرنسي بالمغرب لا ينبغي أن يُقرأ فقط من زاوية العلاقات الثنائية. ففرنسا نفسها تعيد النظر في موقعها داخل أفريقيا وأوروبا والعالم. وفي هذا السياق، يصبح المغرب شريكاً ذا قيمة مضاعفة: فهو من جهة بوابة إلى سوق أفريقية واسعة، ومن جهة أخرى جزء من المجال المتوسطي والأوروبي الذي تبحث فرنسا عن إعادة تثبيت حضورها فيه.

لقد تغيرت أفريقيا، وتغيرت معها قواعد النفوذ الأوروبي. لم يعد النفوذ يُبنى بالخطاب السياسي وحده، ولا بالروابط التاريخية، ولا بمجرد امتلاك علاقات قديمة مع النخب المحلية. أفريقيا الجديدة أكثر تعدداً في الشركاء وأكثر حساسية تجاه مفهوم السيادة، وأكثر انفتاحاً على الصين والولايات المتحدة وتركيا ودول الخليج والهند وغيرها. وفي هذه البيئة، يستطيع المغرب أن يؤدي دوراً مختلفاً: ليس باعتباره بديلاً عن فرنسا في أفريقيا، بل باعتباره شريكاً يمكن لفرنسا أن تعمل معه في أفريقيا الجديدة.

وهذا هو أحد أهم التحولات التي ينبغي أن تدركها باريس.

فالمغرب لا يريد أن يكون وسيطاً بالمعنى التقليدي، ولا حارساً لمصالح الآخرين، ولا امتداداً لنفوذ قوة خارجية. إنه يسعى إلى أن يكون مركزاً مستقلاً للحركة الاقتصادية والسياسية والثقافية. وهذه الاستقلالية هي بالضبط ما يمكن أن يمنح الشراكة المغربية–الفرنسية فرصة جديدة.

ومن هذه الزاوية، فإن أفضل ما يمكن أن تفعله فرنسا هو التعامل مع المغرب كما أصبح، لا كما كان.

لقد تغير الاقتصاد المغربي أيضاً. فالبلاد لم تعد تعتمد فقط على القطاعات التقليدية، بل طورت صناعات ومجالات جديدة، من السيارات والطيران إلى الطاقات المتجددة والبنية التحتية والخدمات اللوجستية.

وهنا يمكن للعلاقة مع فرنسا أن تنتقل إلى مستوى أكثر طموحاً.

بدلاً من أن تظل الشراكة الاقتصادية مركزة على المبادلات التقليدية، يمكن أن تصبح جزءاً من إستراتيجية مشتركة للاستثمار في المستقبل: الطاقة النظيفة، والهيدروجين، والصناعات المتقدمة، والرقمنة، والبنية التحتية، والتعليم والبحث العلمي، والصناعات الثقافية.

هذا النوع من الشراكات أكثر استدامة من العلاقات التي تختزل نفسها في الملفات السياسية الطارئة.

كما أن البعد الأمني يمكن أن يجد في هذه العلاقة الجديدة أساساً أكثر توازناً. فالمغرب وفرنسا يواجهان تحديات مشتركة تتجاوز الحدود الوطنية: الإرهاب، والجريمة المنظمة، وأمن المتوسط، والهجرة غير النظامية، وأمن الطاقة، والأمن السيبراني. لكن معالجة هذه الملفات لا يمكن أن تستمر بمنطق العلاقة غير المتكافئة التي تجعل أحد الطرفين مجرد منفذ لسياسات الطرف الآخر.

الأمن المستدام يبدأ من التنمية والاستقرار والفرص الاقتصادية.

فرنسا تبحث عن موقع جديد في أفريقيا والمغرب يقدم نفسه بوابة إستراتيجية شريكًا قادرًا على صياغة مستقبل أكثر توازنًا

وهنا أيضاً يمتلك المغرب تجربة تستحق أن تؤخذ بجدية. فالمقاربة الأمنية وحدها لا تكفي لضبط فضاءات واسعة تعاني من الفقر والهشاشة وانعدام الفرص. أما بناء شراكات اقتصادية وتنموية مع الدول الأفريقية، وربطها بالبنية التحتية والتجارة والاستثمار، فيمكن أن يخلق طبقة أعمق من الاستقرار.

وهذا يجعل المغرب شريكاً في صناعة الأمن، وليس مجرد شريك في إدارة أزمات الأمن.

لكن ربما يكون الجانب الأكثر أهمية في المرحلة المقبلة هو البعد الثقافي والإنساني. فالعلاقات المغربية–الفرنسية تحمل إرثاً بشرياً هائلاً، تتداخل فيه اللغات والجامعات والشركات والجاليات والفنون. غير أن هذا الإرث يحتاج إلى إعادة صياغة حتى لا يتحول إلى حنين دائم إلى الماضي.

فالفرنسية في المغرب ليست مجرد لغة مرتبطة بالتاريخ الاستعماري، كما أن الثقافة المغربية في فرنسا ليست مجرد امتداد لجالية مهاجرة. هناك فضاء إنساني جديد يتشكل بين البلدين، ويمكن أن يصبح أحد أعمدة العلاقة المستقبلية إذا جرى التعامل معه باعتباره جسراً ثنائي الاتجاه.

المستقبل لا يحتاج إلى محو التاريخ، لكنه يحتاج إلى تجاوزه.

إذا كانت فرنسا تبحث عن موقع جديد في المتوسط وأفريقيا، فإن المغرب يمكن أن يكون أحد أهم الجسور إلى ذلك الموقع.

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينارات – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا
AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA 1 $ - UK 1 £

العرب
السبت 2026/09/05
السنة 49 العدد 13906

الفضاء المستباح: كيف تحولت المدارات الأرضية العربية إلى ساحة حرب خفية؟

فراغ استراتيجي يفتقر إلى برامج سيادية لمراقبة الفضاء وتتبع مداراته

بينما يتسابق العالم لاستكشاف الفضاء بوصفه أفقًا علميًا واعدًا، تكشف الحقائق أن المدارات الأرضية تحولت إلى ساحة حرب خفية، تتداخل فيها المصالح العسكرية والتجارية، وتُستباح فيها السيادة التقنية للدول، لتصبح السماء مرآة لصراع القوى الكبرى على مستقبل البشرية وأمنها الكوني.

ساحة صراع خفي فوق الأرض

د. حسن مصدق
أستاذ في جامعة فانسين باريس 8

بينما تحبس الأنظار أنفاسها وهي تتابع إطلاق مرصد "نانسي غرايس رومان" الفضائي (في 30 آب/أغسطس 2026 عبر سبيس إكس) نحو المدارات العلوية، ظناً منها بأنه مجرد نافذة علمية بريئة لسبر أغوار الطاقة المظلمة وتوسُّع الكون، تدور المعركة الحقيقية لمستقبل البشرية بهدوء مرعب على ارتفاع مئات الكيلومترات فوق رؤوسنا. فبينما تُصمم تلك التلسكوبات لالتقاط الضوء الخافت لمجرّات سحيقة، تدير وكالات الدفاع في واشنطن وبكين وموسكو شبكات رادار أرضية ومناورات سرية لاستهداف عصب الحضارة الإنسانية. وحين يغيب القانون وتنصهر الحدود بين المدني والعسكري، تصبح مدارات الكوكب أكياس رمل لـ"حرب باردة فضائية" تكاد تُسقط العالم في العمى الكامل دون إطلاق رصاصة واحدة على الأرض.

الأقمار المفتشة التي وُلدت لأغراض مدنية تحولت إلى أدوات هجومية صامتة تستخدم القرصنة والليزر لتعطيل الخصوم في الفضاء

وحين نتأمل المظلة التي تحمي هذا العبث العسكري، يرتطم البصر بمفارقة صارخة تمزق الغطاء القانوني للأنشطة الفضائية وتعرّي زيفه. فعلى الورق، تظل "معاهدة الفضاء الخارجي لعام 1967" الحصن المنيع الذي يحظر أسلحة الدمار الشامل في العُلا ويقصر المدارات على السلم وحده. غير أن تلك النصوص العتيقة وُلدت في رحم حقبة تكنولوجية ولّت، فتركت وراءها ثغرات ومساحات رمادية واسعة كالفضاء ذاته. وتلك الثغرات اقتات عليها القوى العظمى، إذ سارعت عقيدة "قوة الفضاء الأمريكية" وترسانات المنافسين إلى صياغة مفاهيم مراوغة مثل "الدفاع الاستباقي" و"مكافحة الفضاء الفعالة". وهي لا تشكل خرقاً فجاً بالمعنى الكلاسيكي، بل هي "براغماتية مرنة" تمنح تلك العواصم صكوك غفران لتطوير أسلحة تفتك بالمدارات تحت عباءة حماية الأمن الوطني. ومن رحم هذه الهندسة القانونية المطّاطة، تشرع القوى الكبرى برامجها السوداء للأقمار القزمية والمناورات الشبحية، متجاوزة قيود القرن العشرين لتفرض عسكرة مقنعة تمهد الطريق أمام المنظومات الهندسية فائقة الدقة التي تتصدر مسرح العمليات اليوم.

التكنولوجيا الصامتة

تتأتى القدرات الهجومية الحديثة في الفضاء من هندسة معقَّدة تُعرف في كواليس الحروب الخفية بـ"عمليات الاقتراب والمناورة المدارية"، تضطلع بدور البطولة كيانات عُرف بـ"الأقمار المفتشة"؛ وهي مركبات وُلدت أصلاً تحت غطاء مدني بريء لفحص الأقمار الأخرى وتقديم أعمال الصيانة لها، لكنها تحولت خلف الأبواب المغلقة إلى مفارز هجومية مرعبة. ولا تتوسل هذه الكيانات الشبحية ستر "التخفي المطلق" كما يتوهم البعض، فرصدها يظل متاحاً لشبكات التتبع الأرضية، لكنها تقتات على غلال "الغموض التشغيلي"، موظفة محركات أيونية صامتة ومحسوبة بدقة لتماهي السرعات والزحف تدريجياً نحو فرائسها المدارية في العُلا. وحين تذوب المسافات النسبية لتستقر عند أمتار معدودة، تتكشف حقيقة الصراع بعيداً عن صخب الخيال العلمي ومجازفه المتمثلة في الالتصاق الميكانيكي وزرع الأسلاك، إذ تُباغت هذه المنظومات خصومها بضربات غير مرئية تُدار عبر القرصنة السيبرانية الموجهة لاسلكياً، أو الصواعق الكهرومغناطيسية، أو أشعة الليزر المركزة التي تشمل مستشعرات الهدف، ما يردي دوائره الإلكترونية صريعة عن بُعد. وبالتالي تُحاك هذه الجنايات المدارية في معطف فاخر من التنصل والإنكار المطلق، حيث تُوارى الآثار وتُعزى الأعطال المروعة لمحض ظواهر طبيعية، أو تلف تقني عابر، أو عواصف شمسية، أو ارتطام بنفايات تائهة، لتُجرّد الضحية من أدلة قاطعة، ويبقى الصراع أسيراً للغموض الاستراتيجي القاتل دون أن يُشعل شرارة مواجهة عسكرية كلاسيكية تكشف الستار عن وجه الحرب المستباحة.

سباق التسلح المداري

بينما تتسابق واشنطن وبكين وموسكو لفرض الهيمنة المطلقة على المدارات، تقود أمريكا هذا السباق عبر "قوة الفضاء" بتمويلات ضخمة لتطوير المناورات والأقمار الخفية، بينما تنشر الصين ترسانة من الأسلحة الحركية، وأنظمة الليزر، وأقمار الاعتراض ذات الأذرع الروبوتية، فيما تعتمد روسيا على الردع غير المتماثل عبر منظومات "بيريسفيت" الأرضية لإعماء الأقمار وشبكات التفتيش المريبة. بحيث يدفع هذا التسابق المحموم، الممزوج بالنزعة الاستباقية وغياب الشفافية، بالاستقرار الدولي نحو حافة الهاوية؛ فإعطاب قمر حيوي تحت غطاء "عطل فني عابر" يهدد بإشعال سوء تقدير كارثي يجر البشرية نحو مواجهة شاملة لا يمكن احتواؤها.

ولا يقتصر خطر هذا المخاض على الجيوش النظامية وحدها، بل اقتحم القطاع الخاص والشركات العملاقة هذه الجبهة بضراوة؛ إذ تحولت شبكات تجارية ضخمة مثل "ستارلينك" إلى خطوط إمداد عسكرية خفية توفر اتصالات مشفرة ودعماً استخباراتياً مباشراً للساحات القتالية، ليسقط بذلك الفاصل التقليدي بين ما هو مدني وما هو عسكري، ويصبح كل تجمع تجاري في السماء هدفاً مزدوج الاستخدام ينذر بفوضى عالمية عارمة.

أطلال مدارية وخوارزميات قاتلة

إلى جانب استراتيجيات التنصل والحروب السيبرانية، تبرز معضلة أمنية أوسع نطاقاً تتمثل في الانعكاسات العشوائية لاختبارات الأسلحة الحركية المضادة للأقمار الاصطناعية. فالتجارب التي نفذتها بعض القوى الكبرى لتفجير أقمارها القديمة في الفضاء لم تخلّف مجرد بقايا، بل خلقت سحباً هائلة من الشظايا والنفايات المدارية المرعبة التي تسبح بسرعات تفوق سرعة الرصاص بأضعاف مضاعفة، مهيمنةً على شبح "متلازمة كيسلر"؛ وهو تفاعل متسلسل مدمر من الاصطدامات القادرة على شطر المدارات المنخفضة بالكامل وتحويلها إلى مقبرة حديدية غير صالحة للاستخدام لأجيال قادمة. والأسوأ من ذلك أن هذا التهديد الفيزيائي الأعمى لا يعترف بالحدود ولا يفرق بين أصول عسكرية تابعة لقوة عظمى وبنى تحتية مدنية لدول أخرى بريئة.

ومما يعمق من خطورة هذا المشهد، الانخراط المتسارع لتقنيات الذكاء الاصطناعي في إدارة العمليات الفضائية، إذ أن السرعات الفائقة التي تُدار بها المعارك في المدارات لم تعد تترك مجالاً للتدخل البشري اللحظي، مما اضطر الجيوش إلى تفويض الخوارزميات الآلية لاتخاذ قرارات التهرب أو الاعتراض الفوري. وبالتالي، يرفع هذا التفويض المطلق للآلة – في بيئة مشبعة بالغموض وانعدام الثقة – من احتمالات سوء التقدير، حيث يمكن لرد فعل دفاعي خاطئ تقوده خوارزمية صماء في الفضاء أن يُشعل شرارة مواجهة مدارية شاملة تدفع ثمنها باهظاً كافة الدول المعتمدة على الفضاء، مهما نأت بنفسها عن الصراع.

عسكرة المدارات والتحديات العربية

يُمثل الفضاء اليوم "الجهاز العصبي المركزي" للحضارة الإنسانية، حيث تعتمد عليه القطاعات الحيوية كالاتصالات، وأنظمة الملاحة وتحديد الموقع الجغرافي الدقيق (نظام التحديد العالمي الأمريكي، نظام الملاحة الروسي، نظام بيدو الصيني، ونظام غاليليو الأوروبي، فضلاً عن شبكات الطاقة، والأسواق المالية، ومنظومات الإنذار المبكر. غير أن تحول هذه البنى التحتية إلى أهداف مكشوفة لعمليات التدمير الصامت والقرصنة والنبضات الكهرومغناطيسية يُعرّض الأمن القومي العالمي لهشاشة مرعبة؛ إذ يمكن لهجوم مداري خفي أن يحدث "شللاً استراتيجياً تاماً" يُعطل القيادة والسيطرة ويهدد بكارثة اقتصادية عالمية، بل ويدفع الدول المتضررة نحو حافة الرد العسكري الشامل لمجرد الشك في تعرضها لعدوان مداري متعمد. وفي خضم هذا المشهد الجيوسياسي المعقد والعسكرة المتسارعة للمدارات المنخفضة والمتوسطة، يجد العالم العربي نفسه في موقع شديد الهشاشة والتهميش الاستراتيجي، محاطاً بمنظومة من التحديات الوجودية والتقنية العميقة التي تفرض وعياً أمنياً واستراتيجياً عاجلاً:

● **فخ التبعية والوكالة:** تعتمد الدول العربية اعتماداً كلياً في قطاعاتها الحيوية ومشاريعها على بنى تحتية فضائية تملك مفاتيح تشغيلها القوى الكبرى، وهو ما يجعل المنطقة عرضة للشلل التام بفعل الصراعات الخفية بين الأقطاب دون إطلاق رصاصة واحدة. وبالتالي يتحول الفضاء الإقليمي العربي نتيجة هذه التبعية المطلقة إلى مسرح مباح لعمليات التجسس والتشويش المتبادل، ماسخاً السيادة الوطنية ومجرداً العواصم العربية من القدرة على حماية أمنها الاستراتيجي بمعزل عن اصطدام الكبار.

● **السيادة المنتهكة والعجز الردعي:** يعاني الجسد العربي من فراغ استراتيجي جسيم يفتقر إلى برامج سيادية متقدمة لمراقبة الفضاء وتتبع مداراته، إذ تتناثر جهود امتلاك أدوات هذا القطاع الحاسم في تجارب نوعية فريدة، فإلى جانب الريادة التقنية المعهودة لـ "مركز محمد بن راشد للفضاء" بدولة الإمارات العربية المتحدة، والخطوات الوثابة للمملكة المغربية عبر برنامجي "محمد السادس – أ وب"، يبرز الثقل التاريخي والاستراتيجي لكل من جمهورية مصر العربية – بصفتها صاحبة العهد الأقدم والبنية التحتية العريقة في تشغيل محطات التحكم وأقمار الاستشعار على مستوى الإقليم والقارة الإفريقية – والمملكة العربية السعودية التي تخوض ملحمة طموحة لتوطين تكنولوجيا المستقبل وحماية أصولها الحيوية.

وفي سماء تبدو ظاهريا كصفحة ساكنة، تتناسل رواية عيون "الزيني بركات" العصرية – كما صورها جمال الغيطاني في رائعته الخالدة – في السماء العلياء، بلا أثر لخُطى وبلا ضجيج. فعلى غرار عسس المحروسة ورقباء الديوان الذين أحصوا السقطات والهمسات من خلف الجدران، تتدلى أقمار "أوفيك" الإسرائيلية وشبكات "نور" الإيرانية كشاشات مراقبة صامتة فوق العالم العربي، تحصي الأنفاس، وتلتقط إشارات التردد، وتتلمس خبايا المعسكرات والمدن من عل. بحيث تسرح هذه العيون الاصطناعية وتمرح في غفلة من أهل الأرض، مدشنة حالة من "الرصد الكلي" والتلصص المنهجي الذي لا يترك شاردة ولا واردة إلا أثبتها في السجلات السوداء. وبينما تقف العواصم العربية حائرة وعمياء في مواجهة هذا التغول المداري، تدار معارك السيادة والنفوذ في سماء المنطقة ببرود تكنولوجي تام، محرومة من أدنى أداة لكشف الرقيب أو دفعه عن العبث بالسيادة المكشوفة.

● **الهشاشة الميدانية والرقمية:** نظراً لارتباط الجيوش العربية الحديثة وأنظمة الإدارة المدنية والحكومية بنظم الملاحة والاتصالات الفضائية التجارية والعسكرية الدولية، فإن أي صراع خفي أو تعطيل صامت لهذه الأقمار من قبل القوى الكبرى (كأثر جانبي لصراع واشنطن وبكين وموسكو) سيعطل المنظومات الدفاعية، وشبكات الطاقة والمياه، والمطارات، والموانئ البحرية في المنطقة فوراً، ودون حتى إطلاق رصاصة واحدة على الأرض، مما يهدد الشلل الكامل للحياة العامة في الدول المستهدفة.

الحرب الطيفية وضرورة الاستيقاظ العربي

لا تقتصر أدوات الهيمنة المدارية على استهداف الأصول المادية فحسب، بل تمتد لتشمل "الحرب الطيفية" وإدارة الترددات الكهرومغناطيسية، إذ تتعرض المنطقة العربية بانتظام لموجات من تزييف إشارات الملاحة والتشويش التكتيكي القادر على شَل شبكات النقل والاتصالات المدنية والعسكرية دون الحاجة لمس قمر صناعي في السماء. وفي ظل تقاطع هذه الاختراقات الطيفية مع صراعات القوى الكبرى وتحول المدارات إلى مسارح تهدد الأمن الاستراتيجي العالمي، يسقط الغطاء عن واقع لا يحتمل التباطؤ أو الركون إلى التبعية التكنولوجية. ومن هنا، يتكشف الوجه الباهض كلفة لهذا الاختراق، ليتحتم على صانع القرار العربي إدراك أن الفضاء لم يعد مجرد ميدان للردع العسكري العابر، بل غدا "اقتصاد الفضاء الجديد" الذي ترفد إيراداته وتطبيقاته التجارية عصب الاقتصادات الحديثة.

تأسيساً على ذلك، فإن مواجهة هذا المخاض العسير تقتضي التخلي الفوري عن أدوار التلقي والانتظار، والاعتراف بأن الاستثمار السيادي في تقنيات الفضاء لم يعد ترفاً أمنياً ولا خياراً طارئاً، بل هو طوق النجاة التنموي والاقتصادي لحماية مقدرات الأمة وضمان موطئ قدم فاعل لها في مستقبل الحضارة الإنسانية، قبل أن تبتلعها دوامة التهميش المداري. وللخروج من هذا النفق، تتجسد مسارات العمل العاجلة فيما يلي:

العالم العربي يواجه هشاشة إستراتيجية خطيرة إذ يعتمد كليًا على بنى فضائية أجنبية، مما يجعله عرضة للتجسس والشلل الكامل

● **إطلاق استراتيجية موحدة للمراقبة:** الاعتراف بأن الأمن القومي يبدأ من المدارات العليا، وضرورة تضافر الجهود الإقليمية لإنشاء شبكات رصد ورادار سيادية مشتركة تكشف التسلل المداري والتلصص الأجنبي، وتضع حداً لحالة العمى الاستراتيجي.

● **توطين تكنولوجيا الفضاء:** تجاوز مرحلة الاستيراد والاستهلاك المدني البحت نحو بناء برامج مشتركة لتصميم وتصنيع وإطلاق الأقمار الاصطناعية المتقدمة محلياً، بما يضمن امتلاك مفتاح التشغيل والسيطرة والاستقلالية التكنولوجية الكاملة في أوقات الأزمات.

● **عقيدة فضائية وسيبرانية:** تحديث المنظومات العسكرية والمدنية العربية لحماية البنى التحتية الحيوية ضد الهجمات السيبرانية والكهرومغناطيسية الصامتة، مع بناء قدرات ردع سيبراني تفشّل محاولات الإعطاب المبرمج.

● **التكتل الفضائي المشترك:** توحيد الإمكانيات المالية والبحثية والعلمية في الدول العربية ضمن وكالة موحدة على غرار وكالة الفضاء الأوروبية، لتعزيز الحضور التفاوضي والدفاعي أمام التكتلات الدولية الكبرى.

● **الاستثمار في العقول:** إنشاء مراكز أبحاث متخصصة في فيزياء الفضاء وتكنولوجيا المحركات الأيونية ومواد التخفي والدفاع المداري، لجذب الكفاءات العربية المهاجرة، وخلق جيل تقني وعسكري قادر على مواجهة تحديات المستقبل.

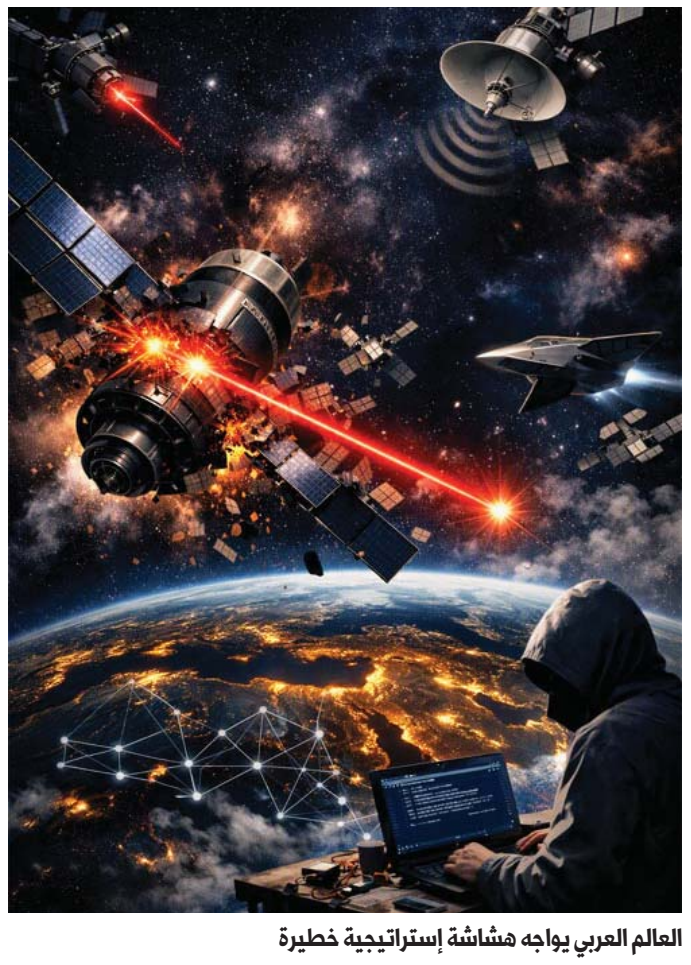

العالم العربي يواجه هشاشة إستراتيجية خطيرة

إيران تفاوض من موقف ضعف

د. عبدالحفيظ عبدالرحيم محبوب
أستاذ الجغرافيا السياسية والاقتصادية بجامعة أم القرى سابقا

تعتقد إيران أن سيطرتها الميدانية على الملاحة في هرمز تمنحها رسالة قوة وهيمنة تهدف إلى تعزيز أوراقها التفاوضية، وليس مجرد تنازل مجاني للإدارة الأميركية، فيما بكين وموسكو لم تظهرا استعدادًا لدعم إيران عسكريًا في قمة شنغهاي في الأول من أيلول/سبتمبر 2026 بقرغيزستان، بينما بقي الدعم الاقتصادي محدودًا وسط تهديدات بعقوبات أميركية إضافية، بل هناك شكوك بشأن قدرة التكتل على تحويل التضامن السياسي إلى دعم اقتصادي أو أمني فعلي. الحرب على إيران كشفت قدرة هذا التكتل، رغم أنه يشكل 40 بالمئة من سكان العالم وربع اقتصاد العالم.

هددت أميركا على لسان وزير الخزانة الأميركي سكوت بيسنت بيوم إنزال اقتصادي يتضمن إجراءات لمعاقبة إيران وداعميها، فإن مواجهة طهران مع ترمب كشفت عجز منظمة شنغهاي للتعاون عن التحرك بصورة منسقة، في الوقت الذي تحيي فيه مرور 25 عامًا على تأسيسها، وهو بمثابة تضامن رمزي مع طهران ومجرد إدانة خطابية للولايات المتحدة بما يتماشى مع الدعاية الصينية المعتادة التي تحافظ على ترابط اقتصادها مع الغرب ولا يمكن أن تفرط بهذه المكتسبات الضخمة.

الحرب الأميركية على إيران لم تكشف هشاشة النظام الإيراني رغم تعنته، بل تكشف حجم الرهانات أمام مجموعة شنغهاي التي تحاول تحدي النظام العالمي الذي يهيمن عليه الغرب بقيادة الولايات المتحدة، وهو ما يسلط الضوء على مدى عدم فاعلية منظمة شنغهاي للتعاون في حماية أمن إحدى دولها الأعضاء.

التحركات الأميركية العسكرية والاقتصادية حيدت أوراق إيران فيما تتجه المنطقة إلى تجاوز أهمية هرمز بفتح ممرات جديدة للطاقة تقلل من نفوذ طهران الإقليمي

إيران ليس لديها حلفاء؛ فروسيا لا تربطها علاقات استراتيجية مع إيران تتضمن الدفاع المتبادل، ولا حتى التزام سياسي واضح. وقد كتب المؤرخ الأميركي ستيفن كوتكين أن بوتين لا يبني تحالفات، بل شبكات نفوذ تنتهي صلاحيتها حين ترتفع كلفة الدفاع عنها. تنظر موسكو إلى إيران كصفقة، واقترحت على واشنطن صفقة بأن يتوقف الكرملين عن تزويد إيران بالمعلومات المخابراتية إذا توقفت أميركا عن تزويد أوكرانيا بمعلومات عن روسيا، لكن واشنطن رفضت هذه المقايضة.

أما الصين فكانت أكثر حدة مع إيران حين رفضت زيارة أكبر مسؤول في إيران، قاليباف، بحسب تصريح زعيم حزب كوادر البناء حسين مرعشي الذي دعم بزشكيان وسبق أن دعم روحاني، إذ قال إن الصين أبلغتنا أن زيارة قاليباف لن تتم إلا بعدما تفتح إيران مضيق هرمز كما كان قبل الحرب، وتحل مشكلتها مع السعودية، وتسمح للسفن بعبور المضيق دون رسوم، وتنهي مشكلتها مع أميركا.

إيران أضاعت مذكرة التفاهم بتوظيفها مضيق هرمز كورقة تفاوض، وقدمتها هدية لترامب الذي حول ملف النووي إلى ملف هرمز. بل إن مذكرة التفاهم أحبطتها ودمرتها إيران، وكانت دول المنطقة متحفظة على هذه المذكرة التي وُقعت في فرساي، وكانت ستؤدي إلى آزمة في المنطقة على غرار الاتفاق النووي مع (5+1) عام 2015. ويرفض ترمب طلب إيران العودة إلى هذه المذكرة ويعتبر أن أوانها فات، وأن إيران ضيعت عليها الفرصة. أما محاولة الترويج لوجود متطرفين ومعتدلين داخل إيران فهي وهم وتضليل، بل مجرد توزيع أدوار، والجميع متمسك بالعقيدة الإيرانية.

تقترب إيران من حافة الهاوية عبر كسر قواعد اللعبة، وهو سيناريو اليأس بعدما انتقلت من استهداف الملاحة إلى استهداف سلسلة إنتاج وتصدير الطاقة، بعدما أوعزت للحوثيين بتهديد ممرات البحر الأحمر. لكن السعودية شكلت تحالفًا بحريًا دفاعيًا حيّد تهديدات الحوثي لممرات البحر الأحمر، ولا تزال السعودية تصدر نفطها عبر ممر شرق-غرب إلى ينبع، ما جعل أسعار النفط في مستويات معقولة عند 90 دولارًا للبرميل، وليس كما كانت تود إيران أن يرتفع إلى 150 دولارًا أو أكثر.

ما جعل إيران تلجأ إلى إستراتيجية معادلة ردع جديدة عندما صرح قاليباف: "إذا لم نستطع تصدير نفطنا فلن يستطيع أحد تصدير نفطه"، وهو أكثر من مجرد تهديد سياسي؛ إذ تود إيران مقابل خنقها أن تخنق الدول المصدرة للنفط، وأن يصبح الخليج وسوق الطاقة العالمي جزءًا من معادلة بقائها. لذلك لجأت أميركا إلى استهداف مواقع عسكرية ولوجستية وحيوية تابعة للحرس الثوري والقوات المسلحة الإيرانية في بندر عباس، العصب الرئيسي للقوات البحرية، لتحييد قدرات ومراكز القطع البحرية والزوارق السريعة التي تتميز بها إيران. واستهدفت بطاريات الصواريخ المضادة للسفن في جزيرة قشم، وقواعد بحرية متطورة ومحطات رادار في جاسك وسيرك، وقاعدة كنارك البحرية والجوية في شابهار، لشل قدرات إيران الهجومية والدفاعية للحرس الثوري. وجاء التحرك الأميركي كتحرك وقائي بعد رصد استخباراتي بأن القوات الإيرانية تستخدم السواحل الغربية لإطلاق مقذوفات ونشر ألغام بحرية متفجرة لعرقلة السفن والملاحة في مضيق هرمز.

الخناق الاقتصادي يتخطى مضيق هرمز، و"ربيو" صرح بأنه لا يوجد توافق بين أميركا وروسيا، ووزير الخزانة الأميركي يطالب دول الجوار بوقف أي دعم لإيران لإنهاء هذا الصراع بأسرع وقت. ورغم أن إيران اعتادت على العقوبات منذ 1979 بنحو 1600 عقوبة، فإن الخنق الحالي ساهم في انخفاض العملة الإيرانية إلى 2.2 مليون ريال مقابل الدولار، بعدما كان قبل الحرب سعر الدولار 1.5 مليون ريال.

العمليات العسكرية الأميركية مفتوحة بجاهزية عالية، بلغت 100 ضربة في يوم واحد في 2026/9/1، وهناك خلاف داخل الإدارة الأميركية؛ فالسيناتور تيد كروز يرى أن الحديث عن تغيير سلوك النظام الإيراني قد تجاوزه الزمن، ويطالب بالكف عن الحديث عن تغيير السلوك إلى تمكين المعارضة ودعمها لتغيير النظام.

إيران تفاوض من موقع ضعف بعد انكشاف حدود دعم موسكو وبكين وتراجع قدرتها على استخدام مضيق هرمز كورقة ضغط فعالة في مواجهة واشنطن

خطاب التهدئة الإيراني ليس إلا محاولة لشراء الوقت وتجنب الانهيار الاقتصادي، معوّلين على الانتخابات الأميركية النصفية في نوفمبر، لكنه رهان خاطئ كعادة إيران، ولن يتخلى ترامب عن الحصار والعقوبات الخانقة التي أفرغت خطاب التهدئة الإيراني من أهدافه، لأنه وجد أن التخلي عن الحصار البحري خطأ، وهو مصمم على مواصلة الخنق الاقتصادي والعمل العسكري حتى ترضخ إيران، لكنه يتطلب جدية من الدول المجاورة، وبشكل خاص من الصين وروسيا.

حاول ترامب إقناع روسيا والصين بأن أميركا جاهزة للتصعيد العسكري إذا رفضتا التعاون معها، لأنه إذا توقفت الصين وروسيا عن دعم النظام الإيراني سينهار بسرعة. لكن ما مدى استعداد روسيا للمقايضة مع ترامب في موضوع أوكرانيا؟ ومع الصين تتعلق الملفات التجارية وملف تايوان، وهناك زيارة للرئيس الصيني إلى واشنطن في سبتمبر 2026. وفي ضوء سياسات بدائل عبور الناقلات في ممرات غير هرمز، سيقلل ذلك من قيمة الورقة التي تتمسك بها إيران، وسيتم تفريغ أهمية المضيق.

إذا رفض البلدان واستمرت إيران في التعنت والمكابرة، ستركز أميركا ضرباتها على جزيرة لارك حيث البنية التحتية العسكرية للحرس الثوري، وهو ما حدث في 2026/9/1، وهي رسالة لروسيا والصين، ليست فقط لإيران، وشملت الضربات جزيرة خارك حيث البنية التحتية النفطية لإيران. ولن يقبل ترامب بسيطرة إيران على مضيق هرمز ولا حتى بالتفاهمات الإيرانية-العمانية. وفي أخطر تصريح لوزير الخارجية الأميركي، قال إن مضيق هرمز سيخسر مكانته العالمية، إذ كانت المنطقة أهم منطقة شحن خلال العامين فقط، وذلك لأن السعودية تعمل على فتح طرق بديلة وجديدة لضخ نفطها إلى بحر العرب والبحر الأحمر، وستلتحق كل الدول بعد السعودية، مما يجعل هذا المضيق بلا أي قيمة تُذكر.

الخناق يتخطى مضيق هرمز

من يعرقل جهود بولس وتيتيه في ليبيا؟

تدخل متعمد لإفشال المسار السياسي

الحبيب الأسود
كاتب تونسي

من الذي يقف بقوة وراء العمل على عرقلة تنفيذ الاتفاق الصادر عن لجنة "4+4"؟ ولماذا؟ المشهد الحالي في ليبيا لا يزال مثقلاً بالأسئلة الصعبة، ومختنقًا بحبل الغموض الملتف حول عنقه. لكن أخطر ما يثير الانتباه هو استمرار البعض من صانعي القرار في المنطقة الغربية في المراهنة على الحرب كحل حاسم ونهائي لحالة الانقسام، مع استدعاء الخطاب الديني المتشدد، والخطاب القبلي والجهوي والمناطقي والفئوي المتشنج، واعتبار المواجهة مع القيادة العامة للقوات المسلحة في شرق البلاد معركة وجود لا مناص من خوضها، سواء بعد شهر أو بعد عام.

لنأخذ مثلاً الصادق الغرياني الذي عزله مجلس النواب من منصب مفتي البلاد منذ 12 عامًا، ولا يزال يرأس دار الإفتاء في غرب البلاد بدعم الحكومات المتعاقبة بما فيها حكومة الوحدة. لم يخالف عقيدته المتشددة وتدخله المتعمد لإفشال المسار السياسي، ومضى يحرّض ضد اتفاق الاجتماع المصغر، حيث وصفه بالمشؤوم واعتبره فاقدًا للسند القانوني والشرعي ومؤامرة على الشعب الليبي، وحذّر الحكومة من الركون إلى القيادة العامة للقوات المسلحة الليبية أو الوثوق بها، مستشهدًا بالنصوص الشرعية التي تحرّم الركون إلى الظالمين. كما اتهم البعثة الأممية برعاية وتسيير لجنة "4+4" رغم علمها المسبق بأنها فاقدة للشرعية (من وجهة نظره).

القيادة العامة للجيش الليبي قدمت نموذجاً في قبول الحلول السياسية لكنها تحتفظ بخيار التحرير إذا استمرت القوى الغربية في تعطيل التوافق ورفض توحيد المؤسسات

الغرياني طالب الشعب الليبي بالوقوف بقوة ضد حفتر ومنعه من دخول طرابلس أو بسط نفوذه، ورأى أن اتفاق "4+4" الذي يجمع بين قيادة الجيش وعبدالحميد الدبيبة إنما يمدد لهما الحكم لفترة إضافية، ويمنح حفتر سياسيًا ما عجز عن تحقيقه بالسلاح والحروب في المنطقة. خطاب المفتي لم يخرج عن تصلبه المعهود وتمسكه بالحرب وسفك الدماء خيارًا لحسم الوضع العام في البلاد، واعدًا من سيُقتل من فريق المحسوبين عليه بدخول الجنة، كما اعتاد دائمًا على توزيع صكوك الغفران.

موقف الغرياني جاء امتدادًا لمواقفه السابقة التي واجه بها قيادة الجيش منذ إطلاق عملية الكرامة في مايو 2014، والتي جعلت منه عرّاب "فجر ليبيا" وراعياً روحياً للجماعات الإرهابية التابعة لتنظيمي داعش والقاعدة في بنغازي ودرنة وسرت وغيرها. وفي أغسطس الماضي أدان بشدة إعدام 11 إرهابيًا من المتورطين في ذبح المدنيين وتصفية العسكريين والأمنيين وموظفي الدولة في شرق البلاد قبل تحريره، ووصف عمليات الإعدام بأنها "غادرة" وتتم باسم القانون من خلال محاكمات شكلية هزلية تحت غطاء مكافحة الإرهاب.

مجلس الدولة الاستشاري الخاضع لسيطرة تيار الإسلام السياسي لا يمكن أن يخرج عن توجيهات ومواقف الغرياني، نظرًا لوحدة الهدف والمشروع. فالإخوان ومن يدورون في فلكهم من قادة الميليشيات وأمراء الحرب يراهنون على اللحظة التي يخوضون فيها معركة الفصل الأخير مع قوات الجيش، ويعتبرون أن أي محاولة لتوحيد المؤسسات أو تنظيم انتخابات تعددية من دون عراقيل دستورية، أو تجاوز مرحلة الانقسام في اتجاه بناء الدولة الموحدة السيدة على قرارها، ضربة قاصمة لأهدافهم السياسية والعقائدية.

وكان رئيس المجلس محمد تكالة قد أعلن رفضه حضور مراسم توقيع اتفاق لجنة الحوار المصغر (4+4) الذي رعته الأمم المتحدة، انطلاقًا من موقفه بأن تلك اللجنة تفتقر إلى الشرعية لعدم تمثيلها الكافي للأطراف والمؤسسات الليبية. وقال إنه لا يقبل بتقديم مخرجات اجتماع ضيق على أنها توافق وطني دون مشاركة المؤسسات الرسمية في صياغتها، مشيرًا إلى أن دور الأمم المتحدة يجب أن يمكن الليبيين من صناعة التوافق بأنفسهم، لا فرض مخرجات جاهزة لإضفاء الطابع الرسمي عليها.

المجلس العسكري في مصراتة أعلن حالة الطوارئ وتشكيل غرفة عمليات عسكرية بالمدينة ردًا على اتفاق لجنة "4+4"، كما قرر تشكيل غرفة عمليات جديدة تضم قادة المحاور واتحاد الثوار والكتائب العسكرية بالمدينة، داعيًا كافة الجهات السياسية والكتائب العسكرية في مصراتة إلى تحديد موقفها بوضوح من اتفاق لجنة الحوار المصغر. هذا الموقف اتخذته مجالس عسكرية أخرى وميليشيات مسلحة في مدن الساحل الغربي وجبل نفوسة، تأكيدًا على تلقي الجميع كلمة السر التي جرى الاتفاق عليها سابقًا لعرقلة الحل وتأبيد الأزمة.

أطراف داخلية وخارجية تدعو رئيس المجلس الرئاسي محمد المنفي للتمسك بمنصبه، وتطالبه بإحباط أية محاولة للمجيء بالفريق صدام حفتر بديلاً عنه، وبالتالي الإطاحة بالخطة الأمريكية التي يقودها مسعد بولس وبخارطة الطريق التي تديرها هانا تيتيه.

المعروف عن الفرقاء السياسيين في ليبيا اعتمادهم على تبادل الأدوار وخلط الأوراق واللعب على حبال الوقت في تأمين بقائهم في السلطة. وهم عندما يجلسون على الكراسي يخططون جيدًا سواء لإحباط مهمة تيتيه أو للإطاحة بمشروع بولس، ولديهم من القدرة ما يساعدهم على إقناع الآخر بضرورة أن ينسى أو يتناسى محاولات الحلحلة، وأن يتنحى جانبًا مكتفيًا بالإشادة باستمرار ليبيا في تصدير النفط والغاز.

عرقلة اتفاق لجنة «4+4» تكشف تمسك تيارات الإسلام السياسي بخيار الحرب واستدعاء الخطاب الديني والقبلي لإدامة الانقسام وإفشال أي مسار سياسي موحد

غير أن للطرف المقابل خياراته؛ فالقيادة العامة قدمت للعالم كشفًا واضحًا عن مواقفها. وافقت على خطة الإدارة الأمريكية وشاركت بفاعلية في التوصل إلى اتفاق لجنة "4+4"، وهي تقدم نموذجًا مهمًا في إدارة الدولة وتكريس سيادتها داخل مناطق نفوذ الجيش. ولديها من الدوافع والمبررات والسند الشعبي والاجتماعي ما يتيح لها إمكانية تفعيل حالة الانقسام، على أن لا تقبل بديلاً سوى نيل الدعم الإقليمي والدولي لقرارها بإتمام عملية التحرير، طالما أن الحل السياسي لا يجد في غرب البلاد القوى السياسية والميدانية القادرة على تحقيقه وجعله الخيار الذي لا رجعة عنه.

النص الآن مصقول لغويًا، خالٍ من الأخطاء الإملائية والنحوية، مع ضبط علامات الترقيم وتنسيق الجمل لتكون أكثر وضوحًا وانسيابًا.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس التحرير
محمد أحمد الهوني

المدير العام
صلاح أحمد الهوني

مدير التحرير
مختار الدبابي

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

العرب
السبت 2026/09/05
السنة 49 العدد 13906

الفحم يرقص على ورق أوميد عباس

رسام عراقي يصغي إلى أنفاس الراقصات

أوراق تحمل ثقل الجسد وخفته في آن واحد

يستعيد الفنان العراقي أوميد عباس في تخطيطاته علاقة الرسم بالجسد والحركة، مستندًا إلى معرفة أكاديمية دقيقة بالتشريح، وإلى حساسية تلتقط لحظة الراقصة بين السكون والانفجار. ومن خلال الفحم والغرافيت، تتحول الورقة إلى فضاء تتجاور فيه الكتلة والفراغ، وتلتقي الدقة العلمية بالطاقة التعبيرية، في تجربة تستحضر ذاكرة الفن وتختبر إمكاناته المعاصرة.

علي إبراهيم الدليمي
كاتب عراقي

تتجلى في تخطيطات الفنان أوميد عباس رؤية أكاديمية متمرسة تحتفي بالجسد الإنساني لا بوصفه موضوعًا جماليًا ثابتًا، بل بوصفه طاقة حية في حالة تحول دائم، حيث يرتكز البناء التشريحي لديه على دقة عالية في ضبط المقاييس والأبعاد، ولكن هذه الدقة لا تهدف إلى تجميد الجسد في وضع تشريحي جامد، بل إلى الإمساك بليونة الحركة الباليرينية (حركة رقص الباليه الكلاسيكي) في أوج انسيابها.

إنها دقة الخبير الذي يعرف أن العظم والعضلة ليسا هيكلًا جامدًا، بل جهازًا ميكانيكيًا يشتغل وفق قوانين الفيزياء والجاذبية والتوازن، وأن مهمة الرسام هي أن يجعل هذه القوانين مرئية. ما يميز تجربة أوميد عباس منذ اللحظة الأولى هو تعامله مع "السكيتش" كعمل فني مكتمل الذات وليس مجرد دراسة تحضيرية تمهد للوحة نهائية.

القبض على ومضة

السكيتش عنده ليس تمرينًا، هو قرار، هو لحظة قبض على الزمن يختار فيها أن يبقي الخط مكشوفًا، والظل عائمًا، والمساحة ناقصة عمدًا. يزاوج في هذه التخطيطات بين صرامة الأكاديمية في رسم التشريح العضلي، ما يُعرف بالتشريح الفني، وبين رهافة الملمس واقتصاد الظل والنور. فالخط عنده يعرف متى يكون حادًا يحدد بروز عظم الكتف، ومتى يتراجع ليترك للورق أن يتنفس.. والفحم والغرافيت لا يستخدمان لملء الفراغ، بل لنحته.

النتيجة هي أوراق تحمل ثقل الجسد وخفته في آن واحد، ثقل المادة وخفة الراقصة. تظهر جودة التكوين في طريقة توزيع الكتل والأنغام الضوئية. لا يوزع أوميد الأشكال اعتباطًا على سطح الورق.. هناك إحساس معماري بالفراغ، كأن كل جسد هو كتلة معلقة في فضاء محسوب، وتسهم التباينات الحادة بين ظلال الفحم والغرافيت الغامقة وبين سطوع الضوء الفراغي في تجسيد البروزات العضلية لظهر وذراعي وساقي الراقصات.

الضوء عنده لا يأتي من مصدر خارجي مرسوم، بل يتولد من احتكاك الجسد بالظل، فمنطقة الظهر مثلًا قد تُترك بيضاء تقريبًا لتبرز، بينما تغرق ثنية الفخذ في سواد كثيف يمنحها عمقًا وحجمًا.. هذا التلاعب الضوئي لا يهدف إلى الواقعية الفوتوغرافية، بل إلى دراما الحركة، إنه يضيء ما يجب أن نراه أولًا: انثناء العمود الفقري، توتر الوتر، امتداد أصابع القدم.

وفي تفاصيل القماش، وخصوصًا "التوتو" الكلاسيكي، ينتقل عباس من المحاكاة الواقعية الدقيقة إلى الاختزال الواعي. نرى ثنيات القماش مرسومة بدقة تشريحية تكاد تكون هندسية، كل طية تُحسب وزنها وثقلها وعلاقتها بالجاذبية، لكنه لا يستكمل كل المساحة، يترك أجزاء من الورق على بياضها، ويترك خطوطًا أولية عفوية كأنها أثر يد سريعة، هذا التناوب بين الإكمال والإضمار يمنح اللوحة حيوية زمنية نادرة. نشعر أن الحركة لم تنته بعد، وأن الراقصة في اللحظة التالية ستكمل الدوران، إنه يثبت الحركة لا كصورة، بل كإمكانية.

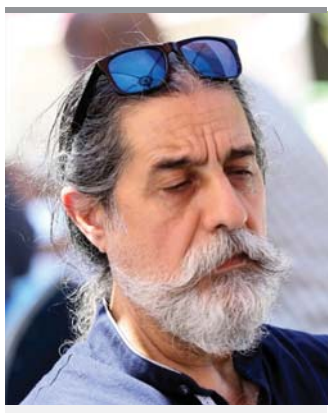

أوميد عباس لا يعامل السكيتش كتمرين، هو عنده قرار ولحظة قبض على الزمن يختار فيها أن يبقي الخط مكشوفا

المتلقي لا يرى نتيجة الحركة فقط، بل يشعر بثباتها في لحظتها التعبيرية، كأنه قبض على ومضة. هذا المنهج لا يأتي من فراغ.. يتجلى التأثير الأكاديمي والتاريخي في أعمال أوميد عباس من خلال تقاطعات واعية مع كبار الفنانين، لا كنسخ بل كحوار، التلميح الأبرز والأشد وضوحًا هو إلى إدغار ديغا، فكما فعل ديغا مع موضوعة رقص الباليه في باريس أواخر القرن التاسع عشر، يفعل أوميد اليوم، لكنه لا يكرر ديغا، يفهمه.

ثلاثة تقاطعات

ديغا لم يرسم الباليه على المسرح تحت الأضواء، بل اقتنص اللحظات التلقائية في الكواليس: الراقصات في حالات الاسترخاء، في الاستعداد، في استجماع الحركة قبل القفز، وركز على الزوايا الخلفية للجسد، على ظهر منحنٍ، على قدم تُربط، على عنق يلتفت.

أوميد عباس يسير في هذا الدرب نفسه، نجد في تخطيطاته ذلك الانحياز للخلف، للمنحنى، للحظة ما قبل العرض. لا يرسم البطولة، يرسم الجهد. لا يرسم النتيجة، يرسم العملية. وهذا هو جوهر الحداثة في ديغا: أن يجعل من الخاص واليومي موضوعًاساميًا.

ومن ديغا يعود بنا أوميد إلى منبع أبعد: ليوناردو دا فينشي.. التأثر هنا ليس موضوعيًا بل منهجيًا. في دراسات ليوناردو التشريحية الدقيقة نجد ذلك الهوس بفهم الجسد من الداخل لكي يُرسم من الخارج.

كان ليوناردو يشرّح ليعرف كيف تتصل العضلة بالعظم، وكيف تؤثر الحركة الفيزيولوجية على سطح الجلد. أوميد عباس يحمل الروح نفسها. خطوطه لا ترسم شكل العضلة فقط، بل اتجاه أليافها، وشدها، وارتخاءها. عندما يرسم ظهر راقصة فهو لا يرسم سطحًا، يرسم بنية، يفهم أن البروز هنا سببه العضلة شبه المنحرفة، وأن هذا التجويف سببه الفقرة القطنية.

هذه المعرفة التشريحية تمنح رسومه مصداقية لا تكتسب من الموهبة وحدها، بل من الدراسة والتراكم، ولهذا تبدو أجساده مقنعة حتى في أقصى حالات الاستطالة والتوازن المستحيل.

ثم يأتي التقاطع الثالث مع أوغوست رودان. رودان كان نحاتًا، لكن أوميد يستلهم منه الإحساس التعبيري بحركة العضلات. في "العصر البرونزي" أو "البرغ" نرى كيف جسد رودان الطاقة الكامنة في الجسد البشري قبل انفجار الحركة، الجسد عنده متوتر، العضلات مشدودة، والظهر يحمل ثقل قرار لم يتخذ بعد. هذا هو بالضبط ما يفعله أوميد بالخط. في تخطيطاته نرى الكتفين مشدودين إلى الخلف استعدادًا للقفز، نرى الساقين في وضع توتر لا في وضع راحة. إنه يرسم الطاقة الكامنة، لا الحركة المنفذة.

ولهذا السبب تبدو رسومه "ثقيلة" رغم خفتها، لأنها تحمل في داخلها وعد الحركة. إن الجمع بين هؤلاء الثلاثة ليس جمعًا اعتباطيًا: ديغا أعطاه الموضوع واللحظة، ليوناردو أعطاه العلم والتشريح، رودان أعطاه الطاقة والتعبير.

وأوميد عباس يصهر هذا كله في لغة خاصة به. لغته لا تعتمد على اللون، لأن اللون قد يخفي. لغته تعتمد على العظم: على الخط والظل والملمس. الفحم عنده مادة جسدية، يفركها بأصابعه أحيانًا ليصنع تدرجًا رماديًا يشبه الجلد، والغرافيت يترك به لمعة تشبه عرق الجسد. الورق ليس خلفية، هو الهواء الذي تتحرك فيه الأجساد.

الدقة والعفوية، العلم والشعر

ومن المهم الإشارة إلى أن أوميد لا يرسم الباليه كموضوع رومانسي أو زخرفي. هو يرسمه كمعمل للجسد.. الباليه عنده هو أقصى ما يمكن للجسد البشري أن يفعله من حيث الانضباط والحرية معًا.

الراقصة عنده ليست جميلة فقط، هي رياضية وفيلسوفة. جسدها يكتب معادلة بين القوة والرشاقة، بين الألم والجمال. ولهذا يركز على التفاصيل التي لا تُرى عادة: التواء الكاحل، ضغط أصابع القدم داخل الحذاء، تشنج عضلات الظهر. إنه لا يجمل، بل يكشف، وهذا الكشف هو ما يمنح أعماله صدقًا.

في السياق العراقي المعاصر، تأتي أهمية تجربة أوميد عباس من كونها تعيد الاعتبار للرسم الأكاديمي كقيمة قائمة بذاتها في زمن تهيمن فيه الصورة الرقمية والتجريب السريع. يعود عباس إلى الورق والفحم والغرافيت، ويقول إن اليد ما زالت قادرة على أن تقول ما لا تقوله الآلة.

«بكاء الحقل الأخير».. الإنسان في مواجهة الاقتلاع

عبدالكريم البليخ يكشف هشاشة الإنسان وقدرته على مقاومة الفقد وحفظ إنسانيته

تفتح مجموعة «بكاء الحقل الأخير» للكاتب السوري عبدالكريم البليخ سردًا مشبعًا بأسئلة الفقد والاقتلاع والانتماء، عبر شخصيات عادية تواجه الحرب والغربة والفقر والخوف. وبين الأرض والمنفى والبيت والذاكرة، تتشكل حكايات تكشف هشاشة الإنسان وقوته معًا، وتبحث عن المعنى الذي يبقى حين تتساقط الأمكنة والأمان، وتتغير صورة الذات تحت ضغط التجربة.

د. آمال بوحرب
شاعرة وناقدة تونسية

لا تدخل مجموعة «بكاء الحقل الأخير» لعبدالكريم البليخ إلى عالم الإنسان من الأبواب الواسعة التي اعتادتها الحكايات البطولية، بل من الشقوق الصغيرة التي تتركها الحياة في الروح. إنها مجموعة تنحاز، في جوهرها، إلى الإنسان العادي: الفلاح، والعامل، والمهاجر، والمرأة المقهورة، والأب الغائب، والابنة التي تعيد بناء نفسها في المنفى، والرجل الذي يكتشف أن شكّه قد يكون أكثر قسوة من الحقيقة.

ومن خلال هذه الشخصيات، لا تبدو القصص مجرد حكايات متجاورة، بل أجزاء من سؤال واحد: كيف يحافظ الإنسان على صورته الداخلية حين تتغير الأرض من تحته، وتخونه الأمكنة، ويخذله الآخرون، ويصبح عليه أن يبدأ من جديد؟

تضمّ المجموعة اثنين وثلاثين عملاً قصصياً، إلّا أن أهم ما يمنحها وحدة داخلية ليس عدد القصص ولا تنوع أمكنتها، بل ذلك الخيط الأخلاقي والإنساني الذي يصل بينها. فالأرض، والبيت، والمنفى، والذاكرة، والكرامة، والمرأة، والخوف من الفقد، كلها تعود بصور مختلفة، كأن الكاتب يكتب الحكاية ذاتها من زوايا متعددة. لهذا لا تكون الأرض في هذه المجموعة مجرد جغرافيا، ولا الغربة مجرد انتقال من بلد إلى آخر، ولا الفقر مجرد عوز مادي؛ كل عنصر منها يتحول إلى اختبار للإنسان، وإلى مرآة تكشف مقدار ما يستطيع أن يحفظه من نفسه وهو يتعرض للتصدع.

كرامة في الظل

في قصة «بطلة مجهولة» يتقدم هذا الانحياز الإنساني بوضوح. امرأة في لويزيانا تعمل خادمة في بيت ميسور، محاطة بالفقر والعائلة المتعبة، لكنها لا تُقدَّم بوصفها موضوعاً للشفقة. قوتها تأتي من قدرتها اليومية على الاستمرار. هنا لا تصنع البطولة بندقية ولا خطاب ولا فعل استثنائياً، بل يد متشققة تواصل العمل، وأمومة تتحمل، وكرامة لا يراها الذين يعيشون في القصور. المفارقة الطبقية بين البيت الفقير والقصر ليست مجرد خلفية؛ إنها بنية نقدية تكشف عالماً يرى الخدمة ولا يرى الخادمة، ويستفيد من الصبر ولا يعترف بصاحبه. وفي هذه القصة تحديداً يتضح ميل الكاتب إلى تحويل الهامش إلى مركز: المرأة التي تقف على أطراف المشهد الاجتماعي تصبح، في المعنى الأخلاقي، أكثر الشخصيات حضوراً.

من الناحية الفنية المجموعة تتكئ على لغة ذات نزعة تصويرية واضحة وتكثر فيها الاستعارة والتشخيص والمقابلات

غير أن قوة القصة لا تأتي من رسالتها الاجتماعية وحدها، بل من التحول الذي تتركه في الراوي نفسه. اللقاء بالمرأة يدفعه إلى مراجعة تصوراته عن الأنوثة والكرامة والجمال، فتغدو الشخصية مرآة له بقدر ما هي موضوع حكايته. وهنا ينجح النص في تجاوز الوصف الخارجي إلى مساءلة الذات.

لكن كثافة التشبيهات والاستعارات، على جمال بعضها، تبلغ في مواضع حدّاً يهدد حركة السرد؛ فحين تتراكم الصور على كل تفصيل، يصبح القارئ أحياناً أمام لغة تريد أن تُرى أكثر مما تريد أن تفسح المجال للشخصية كي تتكلم. وهذه ملاحظة تتكرر في أكثر من قصة: اللغة الشعرية عنصر قوة أساسي في المجموعة، لكنها تحتاج أحياناً إلى اقتصاد أشد حتى لا تطغى البلاغة على حرارة الحدث.

ويتخذ الاغتراب وجهاً أكثر قسوة في «عدت كي أعيش». حازم لا يُهاجر لأنه مفتون بالسفر، بل لأن الحرب والفقر وتعطل التعليم ضيقت أمامه إمكانات البقاء. وما يبدأ باعتباره محاولة لإنقاذ الأسرة يتحول تدريجياً إلى امتحان للهوية. في الغربة يصير الإنسان رقماً على بطاقة عمل، وتختزل علاقته بأهله في عبارة مطمئنة يكررها عبر الهاتف: «أنا بخير». لكن الخير هنا كذبة رحيمة؛ فالجسد يعمل، بينما تتآكل الروح ببطء.

يتنقل حازم بين المهن ويصطدم باللاانتماء، ثم يبدأ الهروب إلى العزلة والملاهي والقمار. القصة لا تدينه أخلاقياً بقدر ما تكشف الآلية التي يمكن أن تدفع الإنسان المنهك إلى تخريب نفسه حين يفقد المعنى. فالخسارة لا تبدأ عند طاولة القمار؛ إنها كانت موجودة قبلها، في الانفصال عن البيت والأهل واللغة والإحساس بالمكان.

وتنبع أهمية هذا المسار من أن الغربة لا تُرسم بوصفها نقيضاً رومانسياً للوطن، بل بوصفها فضاء معقداً يمكن أن يمنح فرصة ويأخذ مقابلاً نفسياً باهظاً. إنها لا تسأل فقط: لماذا يغادر الناس؟ بل: ماذا يحدث لهم بعد أن يصلوا؟ وهذه نقلة مهمّة؛ لأن أدب المنفى يضعف حين يكتفي برثاء المكان الأول، بينما يقوى حين يراقب تحولات الإنسان في المكان الجديد. وفي «عدت كي أعيش» تظهر إحدى أفكار المجموعة المركزية: النجاة الجسدية لا تعني بالضرورة النجاة الداخلية.

الخوف يصنع القسوة

أما «غدر صديقة» فتنتقل من قسوة المنفى إلى قسوة البنية الاجتماعية نفسها. شمس ضحية رسالة لم تصل، وصديقة خانت الثقة، وأخ انقاد إلى وهم «الشرف» من دون أن يمنحها حق الدفاع عن نفسها. هنا تصبح الحكاية مواجهة مع منظومة كاملة لا مع شر فردي فقط. أسرار تشعل الفتنة، وعدنان ينفذ الحكم، لكن البيئة التي تجعل الشبهة أقوى من الحقيقة هي المتهم الأكبر. حين يُمنح الرجل سلطة العقاب لمجرد الظن، وحين تصبح سمعة العائلة أعلى من حياة المرأة وحقها في الاختيار، تكون الجريمة قد بدأت قبل الفعل نفسه.

وميزة القصة أنها لا تنتهي بقتل شمس، بل بنفيها وطردها. وهذا الخيار أكثر دلالة مما يبدو، لأن النفي هنا موت اجتماعي: حرمان من الأم والبيت والقرية والاسم الآمن.

الأرض ملاذ الإنسان (لوحة للفنان علي مقوص)